سنة ١٨٦٨ ما برحت بلاد مملكة اقطاعات وحكومة أشراف وراثية أما الصين فحكومتها في الحقيقة أميل الى الجمهورية ولذلك تختلف مقاصد الحكومتين . ومن المعلوم في التاريخ ان الصين واليابان قلما اتحدتا والاوز بين لا يستفيدون من الشرق الاقصى الا بدوام المباراة بين مملكة الشمس المشرقة ومملكة ابن السماء والظاهر انهم يحاولون تطبيق مذهب مونرو على بلادهم القائل أميركا للاميركيين فعساهم يقفون عند هذا الحد ولا يقولون أوربا للآسياويين

كتاب من العالم الجديد[1]

القانون الأساسي أعظم أسباب نجاح الولايات المتحدة وقد جاء فيه ان الولايات المتحدة ليس لها دين رسمي وان الاديان كلها سواء في نظر الحكومة . ولهذا ترى الحكومة لا تنفق درهماً واحداً على معهد ديني وأهل كل دين يبنون معابدهم من مالهم لانفسهم والمدارس خالية من التعاليم الدينية فيأتي المهاجرون الى أميركا بالالوف من جميع العناصر والنحل ولا يعدون أنفسهم غرباء بل يرسلون أولادهم الى هذه المدارس يتخرجون فيها على النحو الذي ينشأ عليه أولاد الاميركان الاصليين . وقد كتبت اليك سابقاً ان هذه المدارس حرة مجانية اجبارية للذكور والاناث .

هذه المدارس لاتعنى بالتعليم العقلي فقط بل تصرف وكدها الى تعليم أمور تعود بالمنافع الجسمية . فتعلم التلاميذ أصول اللبس والمشي تلا يعتادونهما على غير الصورة المناسبة كما تعلم الطبخ وتدبير المنزل . والمدنية بهذه المدارس منتشرة بين أهل الحواضر والقرى على نمط واحد . وأعظم فرق بين مدارس أوربا والمدارس هنا ان أهل أوربا يعلمون صبيانهم في مدارس على حدة وبناتهم في مدارس خاصة بهن .

(١) بعث به أحد أعيان المسلمين السائحين من مدينة أوكلا في الولايات المتحدة الى قريب له في القاهرة

والبنات والصبيان هنا يدرسون في مدرسة واحدة في المدارس الابتدائية والعالية يتربون سوية من الخامسة الى الثامنة العاشرة أو العشرين من العمر . ويدعي الاميركان ان لهذه التربية محسنات جسيمة لم تثبت لي صحتها . ولكن مما لا شبهة فيه ان البنات يترجلن فترى الابنة الاميركانية متخلقة بأخلاق الصبيان ولها من الجرأة والاعتماد على النفس ما للصبي . وان الرجال يحترمون النساء كثيراً بحيث يبالغون حد الافراط في ذلك ويعدون من أعظم الجنايات التعدي على امرأة أو ابنة ولو كانت زنجية

ترى الفتاة الجميلة ذاهبة وحدها في المحال البعيدة ولا يجسر امرؤ ان يقترب منها أو يسمعها كلاماً بذيئاً لئلا يجلب عليه عمله هذا ضروب البلاء . ذلك ان القوم اذا رأوه يكلم من لا تريد مخاطبته يتعذر عليه الخلاص منهم فيضربونه ويدمونهُ وربما ضُرب بحيث يوشك ان يهلك . واذا قبضت الحكومة عليه تجازيه جزآء شديداً . واذا اعتدى معتد فاستباح العرض أو ما يشبهه فاعدامه أمر محقق على أي حال كان . وقد شهدت بعض حوادث من هذا القبيل وذلك ان عبداً صفع امرأة على خدها فأدى ذلك الى سقوطها في الوحل فاجتمع الناس فبحثوا عنه فوجدوه وفي الحال تألفت محكمة موقتة حكمت عليه بالاعدام فشنق لساعته . ورأيت رجلاً من البيض اعتدى على عرض ابنة مراهقة فحكمت المحكمة عليهِ بالسجن المؤبد . وشهدت عبداً آخر التقى بفتاتين وطلب اليهما ان يقبلهما ومع انه لم يمسسهما بيديهِ حكمت المحكمة عليه بألف ريال جزآء نقدياً لكل منهما النصف . وبالجملة فان الاعتداء على النساء مهما كان ضعيف ويعده القوم جناية لا عفو فيها . فأين هذه الاخلاق من أخلاق المصريين الذين يتفاخرون بالتعرض للنساء المسلمات بقحة وسلاطة

وبعد فان أمر التعليم في المدارس الاميركية موكول الى النساء فبن المعلمات وهن المديرات ولا تجد المعلمين من الرجال الا في المدارس العالية . وقد كنت ذهبت الى

الجبال حيث المناجم والمعادن فشاهدت فيها مدارس تشبه مدارس أعظم الحواضر. رأيت أولاد عملة المناجم ممتعين بتربية وتعليم أحسن من أكثر أولاد الاكابر في بلادنا. وفي هذه المناجم ملايين من العملة وأقل أجرة للعامل ثلاثة ريالات أميركية في اليوم

ودور الكتب العامة من أسباب ترقي الولايات المتحدة بعد المدارس فترى في كل بلدة أو قصبة مكتبة عامة يدخلها الناس مجاناً. وتقسم كل مكتبة الى أقسام بحسب حجمها وحجمها يكون على مقدار اتساع المدينة. فترى فيها قسما للمطالعة فيه الجرائد السياسية والمجلات العلمية والادبية وغير ذلك من المطبوعات اليومية والاسبوعية والشهرية وأصغر مكتبة تحتوي على خمسين جريدة. وفي المكاتب الكبرى اكثر من ذلك. وقسماً فيه الكتب على اختلاف ضروبها من كل فن وعلم و باب. وقسماً من المكتبة خاصاً بالاولاد وفيه كتب وجرائد ورسوم مما ترغب فيه نفوسهم ويبعثهم على المطالعة والبحث وترى في بعض تلك المكاتب امرأة عُهد اليها النظر في دائرة الاطفال من المكتبة تستقبلهم وتلاطف معهم

واطفال هذه البلاد لا يشبهون أطفال بلادنا فلا ترى بينهم أحداً يلبس ثياباً رثة أو حافي القدم أو قليل الهندام أو ما يماثل ذلك من قلة العناية خصوصاً البنات فانهن بدون استثناء يلبسن الثياب النظيفة المكوية ويصففن شعورهن وينظفنها ويمشطنها وما السبب في ذلك الا شيوع العلم والمدنية بين أفراد الأمة على اختلاف طبقاتها. والى الآن لم أشاهد ولداً أقرع أو أرمد لان هذه الامراض تنشأ من قلة النظافة. فما الحال في البنات. والنساء على ما رأيت هن في الولايات المتحدة أرقى الجنس الانساني علماً وتهذيباً

عود الى حديث المكاتب. ان فيها دوائر أخرى منها واحدة للتحرير والتأليف

والترجمة وفيها من الكتب ما يلزم المؤلف والمترجم . وللمطالع ان يقرأ الكتاب الذي يريده في المكتبة وله ان يستعيره فيطالعهُ في بيته. وفي هذه المكاتب ضروب من الكتب كانت في وضعها بعضها مع بعض أثراً من آثار التسامح ترى فيها كتباً من نوع واحد في الاديان والمذاهب والسياسة والى جنبها كتباً تنقضها . كتب الفلسفة التي تحمل على الدين موضوعة بجانب الكتب التي تؤيده وتبجله . وكذلك الجرائد ترى الصحف الاشتراكية التي دأبها انتقاد أقوال الرؤساء وافعالهم والحكومة ومجالسها موضوعة الى جانب الصحف التي تسالم الحكومة وزعماء السياسة . ولكل واحد الخيار في مطالعة ما يشاء وتصديق ما يشاء أو تكذيبه . ويبلغ مديرات هذه المكتبات وموظفاتها من النساء ثمانين في المئة من بقية الموظفين ويختلف راتب المديرة من ألف ومائتي ريال في السنة وهو الحد الادنى في الرواتب التي يبلغها أمثالهن الى ألفين واربعمائة ريال وهو الحد الأعلى

للمستر كارنيجي المثري المشهور فضل عظيم في اتمام هذه المكاتب فانهُ أنشأ الفاً ومائتي مكتبة في ألف ومائتي بلدة ولهذ الرجل خيرات جسيمة عدا هذه المكتبات . وقد منح هذا الشهر أحد أعاظم الاغنياء واسمه مستر جون روكفلر اثنين وثلاثين مليون ريال دفعة واحدة لانشاء مدارس وكان أعطى من قبل احد عشر مليوناً لتلك الولاية التي منحها هذه المنحة هذه المرة فتكون جملة اعاناته للمدارس ثلاثة وأربعين مليون ريال . وبهذا يمكنك ان تقيس درجة الغنى في الولايات المتحدة

ومعلوم ان نفوس الولايات المتحدة كان زمن استقلالها أي قبل ١٣٠ سنة أقلّ من أربعة ملايين وكانوا أقل الأمم ثروة فبلغوا الآن ٨٥ مليوناً ويقدرون نمو ثروة البلاد بعشرة ملايين ريال كل يوم . كل ذلك بفضل الحرية الدينية والمساواة الشخصية وانتشار العلم بين افراد الأمة ولا سيما النساء . ففي الولايات المتحدة نحو ثمانية عشر

مليون تلميذ منهم خمسمائة وخمسون ألف تلميذ في المدارس العالية منهم ٣٣٠ الف فتاة و٢٢٠ الف صبي. فاذا كان المتخرجون في المدارس العالية يصبحون بعدُ رؤساء الأمة ونخبتها فاستنتج من هذا الاحصاء ان البنات أرقى من الصبيان وتعال معي وأعجب ممن يدعي ان النساء ناقصات في عقلهن أليس هذا دليلاً حسياً لا يقبل الرّد بأن البنات أرقى من الصبيان ؟ اللهم لا اذا قلنا ان نساء بلادنا هنّ من جنس آخر أدنى ممن الجنس الاميركاني . وعليه فلا أدري كيف يدعي بعضهم النقص في عقل النساء وما النقص في الحقيقة الا من تربيتهنّ لا فيهن . والنساء هنا يدخلن في كل عمل من الاعمال المعاشية ومعظم كتاب دواوين الحكومة من النساء

هذا وليحط علمك ان طول السكك الحديدية في الولايات المتحدة هو نحو مائتين وعشرين الف ميل (الميل نحو ١٧٠٠ متر) ونحو ثمن هذه الخطوط لرجل اسمهُ هاريتمين يلقبونه ملك السكك الحديدية . والخدمة في الجندية البرية والبحرية اختيارية هنا ويقبل فيها الاجانب على شرط ان تكون صحتهم جيدة وان يعرفوا الانكليزية قراءة وكتابة ويقضى على كل متطوع ان يخدم ثلاث سنين وراتبه ثلاثة عشر ريالاً في الشهر يزاد فيه كل سنتين اذا بقي في الخدمة حتى يبلغ راتبه ٢٥ ريالاً . ويلبس الجند ويأكلون أحسن الالبسة وأطيب الاطعمة وقد زرت ثكنة من ثكنهم فصادفت الجند في الطعام فرأيتهم يأكلون على موائد مجللة بالقماش الابيض ولكل واحد معلقتهُ وشوكته وسكينهُ وكأسه ولكل خوان خادم واقف في خدمة الجالسين اليه ويبلغ جيش هذه البلاد ثمانين الف جندي . هذا ما خطر لي الآن ان أدونه لك والسلام عليك